www.quranonlinelibrary.com

وقف الإمام الهبطي بوصفه أحد أهم مياسم التلاوة في المغرب

لشيخي الدكتور/ عبد الهادي حميتو

تنسيق تلميذه: طالب العلم /

جمعة بن عبد الله الكعبي

www.Quranonlinelibrary.com

وقف الإمام الهبطي بوصفه أحد أهم مياسم التلاوة في المغرب
بمناسبة مرور خمسة قرون على اعتماده

د / عبد الهادي حميتو

مقدمة :

أصبحت قراءة القرآن بكيفية جماعية بصوت واحد واقعا مغربيا وشعارا من شعارات الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب منذ أن دخل مهدي الموحدين محمد بن تومرت في صدر المائة الهجرية السادسة . وكان المهدي ـ كما قال مؤرخ العصر يومئذ ـ أبو محمد حسن بن علي بن القطان المراكشي في كتابه " نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان" : "كان ـ رضي الله تعالى عنه ـ يدعو الناس لعبادة الله تعالى ...ويأمرهم بقراءة القرآن وحفظه ، ولزوم الحزب بعد صلاة الصبح وبعد المغرب"[1] .

وقال في حديثه عن خليفته عبد المومن بن علي الموحدي وتأديبه لبنيه : "وكان يأخذهم بحضور الصلوات الخمس والجماعات ، وبقراءة الحزب من القرآن إثر الصلاة"[2] .

وفي كتاب الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) في حديثه عما أحدثه المهدي المذكور قال : "ونقل أيضا إلى المغرب الحزب المحدث بالإسكندرية ، وهو المعتاد في جوامع الأندلس وغيرها ، فصار ذلك سنة في المساجد إلى الآن"[3].

وعبر عن كونه أمسى شعارا للدولة منذ هذا العهد هذا المرسوم الخلافي الصادر عن المستنصر بن الناصر الموحدي عقب بيعته سنة ٦١٧ هـ إذ بعث به إلى البلاد المغربية والأندلسية ليقرأ على المنابر ، فكان مما جاء فيه : "واستحفظوا الكافة صلواتهم ، فإنها الكتاب الموقوت على المؤمنين ، وخذوهم باعتياد المساجد ، فإنها الشاهد الأزكى بشهادة خاتم النبيئين وسيد المرسلين ، واطلبوهم بقراءة الحزب ، فإنها الخير المألوف

---

[1] ـ نظم الجمان لابن القطان : ١٦٧ ـ ١٦٨ .
[2] ـ نفسه : ١٧٢.
[3] ـ الاعتصام للشاطبي : ٢ / ٣٣١ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

، والشعار المعروف ، والرسم الذي عليه العمل ، والعهد الذي لا يجب فيه التغيير والخلل "[1] .

الحاجة إلى نظام للوقف لتوحيد الأداء :

وقد انبثق عن الأخذ بنظام الحزب الراتب وانتشار القراءة الجماعية لهذا العهد ، ظهور الحاجة إلى اعتماد نظام منضبط للوقف والابتداء ، يسهل معه الاشتراك في التلاوة بصوت واحد ، ويساعد المتعلمين على حفظ مواضع الوقف حتى ينسجموا في أثناء القراءة في الحزب وغيره مع الجماعة ، فلا يحدث خلل ولا اضطراب .

ولقد كان المشايخ في البداية يعانون مع المتعلمين عندما يقرأون جماعة في الحزب وغيره ، ولذلك كانوا يعملون على تحفيظهم مواضع الوقف أثناء تجويد الألواح وعرضها قبل التفرغ لحفظها ، وذلك لأهمية ضبط مواضع الوقف السليمة الكفيلة بتصحيح معاني القرآن الكريم ؛ لأن ضبطها من لوازم القراءة وأركان التجويد ، كما أثر ذلك في الخبر المشهور عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال في معنى قوله تعالى في سورة المزمل : {ورتل القرآن ترتيلا } ، قال : الترتيل : تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف[2].

وفي رسالة ابن سحنون في آداب المعلمين إشعار بما على المعلم من العناية بتعليم القراءة مع الوقف ، فقد قال فيما يجب عليه من ذلك : "وينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن ، وذلك لازم له ، والشكل والهجاء والخط الحسن والقراءة الحسنة والتوقيف ..."[3] .

والمعاناة التي أشرنا إليها كانت تتمثل في مراعاة المعلمين لمواضع الوقف أثناء قراءة الصبي أو عرضه عليهم ، وذلك بتعويده على الانتباه إلى إشارة المعلم بيده أو غيرها إلى تلك المواضع ، مساعدة للتلميذ حتى يعتادها ويضبطها . وهو أمر ظل معمولا به فيما أدركنا شيوخنا يفعلونه أثناء الحزب الراتب ، لاسيما وأن العمل جار إلى اليوم عندنا حتى مع وجود وقف الإمام الهبطي المأخوذ به في قراءة الحزب وغيرها وكتابة المصاحف ، بأن لا توضع علامة "صه" الدالة على الوقف إذا كان المتعلم في الختمة الأولى ، وربما حتى في الثانية ، وذلك حتى يحفظ حفظا جزئيا يتمكن معه من التفريق في ضبط أواخر الكلم بين حالتي الوصل والوقف .

---

[1] ـ (البيان المغرب لابن عذاري المراكشي ـ قسم الموحدين ـ ٣١٣ ـ ٣١٤ .

[2] ـ التمهيد في علم التجويد لابن الجزري : ٤٨ ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١ / ٨٣ .

[3] ـ رسالة آداب المعلمين : ١٠٢ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال الحافظ ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) : "ومن ثم اشترط كثير من أئمة السلف والخلف على المجيز ، أن لا يجيز أحدا إلا بعد معرفته الوقف والابتداء ، وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف ويشيرون إلينا فيه بالأصابع ، سنة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين ، رحمة الله عليهم أجمعين "[١].

ومن لطائف ما نذكره هنا في إشارة المشايخ إلى المواقف أي : مواضع الوقف ، ما ساقه ابن عميرة الضبي في كتابه بغية الملتمس في ترجمة أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) حيث قال : "أخبرني أبو الحسن نجبة بن يحيى قال : أخبرني من أثقه أن أبا عمرو المقرئ أقرأ ب" المريّة " مدة ، وكانت ريحانة ـ الأندلسية ـ تقرأ عليه القرآن بها ، كانت تقعد خلف ستر فتقرأ ويشير لها بقضيب بيده إلى المواقف ، فأكملت السبع عليه ..."[٢].

ولقد كانوا في الأندلس وفي المشرق يعتمدون في الوقف والابتداء على فطنة القارئ وبصره بالمعاني ، وكانوا لحذقهم المبكر في العربية والأدب لا يجدون صعوبة في التزام الوقوف الجائزة والصالحة ، ولذلك اتجهوا إلى رواية المؤلفات في هذا العلم ، كما ألفوا في ذلك كتبا اعتنوا فيها بتقرير قواعد الوقف وأنواعه دون اهتمام بتعيين مواضعه ؛ ولذلك ظلت الصعوبة فيه قائمة ، وخاصة عند المبتدئين ، وربما عند غيرهم ، كما تدل على ذلك هذه القصة الطريفة التي ذكرها الضبي أيضا في البغية حيث قال : "أخبرني المقرئ أبو الحسن نجبة بن يحيى بن خلف بن نجبة ، وقرأت عليه بحضرة مراكش حزب {وما أبرئ نفسي} في سورة يوسف ، فلما انتهيت في سورة الرعد إلى قوله : {كذلك يضرب الله الأمثال } وقفت عليه[٣] ، فرفع رأسه إلي وقال لي : أخبرني شريح عن أبيه محمد بن شريح أنه صلى بالمعتضد[٤] ذات ليلة في شهر رمضان ، فقرأ هذه السورة ووقف كما وقفت ، فلما كان يوم آخر وجّه عنه المعتضد وقال له : والله ما فهمت قط الآية التي قرأت بها البارحة في سورة الرعد إلا من

---

[١] ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري : ١ / ٢٢٥ .

[٢] ـ بغية الملتمس : ٤١١ ـ ٤١٢ ترجمة رقم ١١٨٥ .

[٣] ـ يعني في قوله تعالى : { كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى }.

[٤] ـ هو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي كبير أمراء بني عباد باشبيلية بعد أبيه ، وهو والد محمد المعتمد آخر أمرائها الذي عزله أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني في جملة من عزلهم من ملوك الطوائف في المائة الخامسة ، ترجمته في بغية الملتمس : ٣٩٥ ترجمة رقم ١١١٨ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قراءتك ، كنت أجعل "الحسنى" صفة "الأمثال" ، فجزاك الله خيرا ، ووجه إليه بكسوة ومركوب حسن وألف دينار وجارية "[1].

ويظهر أن الوقف إلى هذا العهد كان يتردد بين معرفة مواضع الوقف عن طريق الحفظ ، وبين معرفتها من طريق قواعدها المقررة من جهة المعاني والعربية ، ولما كان الغالب على أهل المغرب الاقتصار على حفظ القرآن ، فقد كانوا يحفظونه مع الوقف . وهذا ما يدل عليه ما ذكره ابن صاحب الصلاة تنويها بأبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي ، حيث ذكر أنه "كان" مستظهرا للقرآن كتاب الله تعالى بشرحه في ناسخه ومنسوخه ، قارئا لنصه ، حافظا له على وقفه وابتدائه ..."[2].

ومهما يكن فقد ظلت الحاجة التعليمية ماسة إلى وجود وقف محدد يلتزم به التالون لكتاب الله تعالى ، وخاصة في القراءة الجماعية في مراجعة "الأسوار" ، وفي تعاهد القرآن في التلاوة العامة والحزب الراتب .

ظهور أول تقييد للوقف بالمغرب :

ولسنا ندري أظل مشايخ الإقراء يكتفون بالإشارة إلى مواضع الوقف كما رأينا أبا عمرو الداني يفعله ، أم أنهم قد أحدثوا لذلك علامة يضعونها في ألواح المتعلمين على نحو ما نضع نحن علامة "صه" في الألواح والمصاحف اليوم تبعا لوقف الإمام الهبطي الذي يجري عليه العمل ؟ .

لا دليل يدل على استعمال تلك العلامة ولا على عدمه ، إلا أن النظر في نسخ المصاحف الخطية التي وصلت إلى زمننا يساعد على استبعاد أن تكون هناك علامة مستعملة في الألواح دون أن يعمد كاتب المصحف إلى وضعها ، مساعدة وإسعافا لمن يقرأ فيه .

وقد وقفت على مخطوطة مصحف الخليفة المرتضى الموحدي المكتوب في النصف الأول من القرن السابع بحظ المرتضى المذكور أو خط غيره[3] فلم أجد فيه أيّة علامات للوقف .

وقد ذكر الدكتور حسن وكاك في بحثه أن "المصاحف القديمة بالمغرب لا تعرف علامة هذا الوقف "صه" ، وليس فيها أكثر من نقطة غليظة على رؤوس الآي" ، قال : "من جملة هذه المصاحف : مصحف ابن مرزوق الموجود بخزانة المعهد العالي بتطوان تحت رقم ١ مكتوب سنة

---

[1] ـ بغية الملتمس : ٨١ ترجمة رقم ١٤٥ . وانظر قصة أخرى لأبي عنان المريني مع أستاذه أبي عبد الله القيسي الضرير حيث أعطاه على الوقف على (الأمثال) مائة دينار ، فسميت وقفة المائة دينار . لقط الفرائد لابن القاضي (ألف سنة من الوفيات : ٢٣٥) .

[2] ـ تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين لابن صاحب الصلاة : ١٦٥ .

[3] ـ توجد مخطوطته بخزانة ابن يوسف العتيقة وبها وقفت عليها قبل عدة سنين .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥٦٢ هـ[١] ، ومنها : جزء من مصحف عتيق لأبي حفص عمر المرتضى الموحدي في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٦٥٨ ج ،كتب سنة ٦٥٤ هـ[٢] ، ومنها : جزء من مصحف عتيق بخط أمير المسلمين أبي زيان المريني ، كتبه بحاضرة تلمسان سنة ٨٠١ هـ تحت رقم ١٣٣٠ د في الخزانة العامة بالرباط "[٣].

كما رأيت المصحف الذي خطه بيده أبو الحسن علي بن عثمان المريني عام ٧٤٥ هـ وأهداه إلى المسجد الأقصى بالقدس الشريف[٤] ، وحصلت عليه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب بالتصوير فطبعته في هيئة بديعة ، وهو أيضا كسابقه خال من علامات الوقف .

وأقدم ما أعلمه من المصاحف التي تحمل علامة "صه" في مواضع الوقف مصحف كتب سنة ٩٦٨ هـ في عهد السعديين ، وهو مخطوط محفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٦٠٦ ج[٥] ، أي : أنه كتب بعد وفاة الإمام الهبطي صاحب تقييد الوقف الحالي بأقل من أربعين عاما ، إذ وفاة الهبطي باتفاق كانت سنة ٩٣٠ هـ .

وهذا المصحف إن كان في مواقفه جاريا على تقييد وقف الشيخ الهبطي فإن من شأنه أن يلقي الضوء على حقيقة نسبة طائفة من المواقف المنتقدة على التقييد الحالي إلى الشيخ الهبطي ، وأن يساعد من تأتّت له فيه دراسة مقارنة للوصول إلى قريب من اليقين إن لم يكن إلى اليقين الكامل ، حول حدود مسؤولية هذا الإمام عن وقفات في هذا التقييد المنسوب إليه ، لاسيما منها ما فوّقت إليه سهام الطعن في إمامته بسببها .

ومهما يكن فإن الإحساس بالحاجة إلى رسم علامة للوقف في ألواح المتعلمين فيما يبدو كان متقدما على زمن الهبطي ، وربما يكون بسبب الحاجة الأكثر إلحاحا إليه عند الطلبة الآخذين بطريق (الجمع والإرداف) للتمكن من ترتيب الخلاف في أداء الروايات ، وخصوصا مع استعمال الشيوخ للرموز الدالة على أسماء القراء والرواة ورسمها في الألواح فيما بين السطور ، ليتمكن الطالب من القراءة وترتيب الخلاف في ضوئها كما هو مستعمل في ذلك إلى اليوم . فلعل هذه الحاجة هي التي أملت على

---

[١] كذا قال : ولعله محرف عن ٧٦٢ ه .

[٢] ـ انظر اللوحة المصورة منه الخالية من الوقف في كتاب تقييد وقف القرآن الكريم للدكتور الحسن وكاك : ١٤٥

[٣] ـ تقييد وقف القرآن الكريم : ١٤١ .

[٤] ـ رجح أستاذنا العلامة محمد المنوني ـ رحمه الله ـ أن يكون وصول هذا المصحف إلى حرم القدس عام ٧٤٧ هـ ، انظر كتابه ورقات عن حضارة المرينيين : ٢٠٨ ـ ٢١١ .

[٥] ـ أشار إليه الدكتور الحسن وكاك في كتابه "تقييد وقف القرآن الكريم" بهامش ١١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

بعض المشايخ قبل الهبطي وضع علامة "صه" على رؤوس المواضع المقترحة للوقف ، وهذا أمر سابق على ظهور تقييد الوقف في سجل معين ، بل هو أساس ظهور هذا التقييد وخروجه إلى الوجود على العموم .

وقد كان العلامة الدكتور الحسن وكاك في دراسته لتقييد وقف القرآن الكريم للشيخ محمد بن أبي جمعة الهبطي ، حاول الإجابة عن تساؤل عقد له مبحثا تحت عنوان : "في بيان الوقف الذي كان المغاربة يقرأون به قبل أن يختاروا وقف الهبطي"[1] ، انتهى فيه إلى قوله :"ومما يؤكد أن مذهب المغاربة في الوقف قبل الهبطي ، الاختيار بين الأخذ بالوقف على رؤوس الآي ، والأخذ بوقف التمام في حالة الإفراد ، والأخذ بالوقف حيث اتفق في حالة الجمع بالسبع أو العشر ، ما أشار إليه السيد عبد الرحمن الفاسي[2] واصفا طرق الأداء بالمغرب بعد الهبطي بقوله :

فصل وللهبطي وقف خالفا ... ببعض ما من الوجوه ضعفا
واختاره للأخذ من تأخرا ... قصرا على طريقه وشهّرا
ومن لقينا ربما قد أخذا ... بالوقف في الآي، ورب نبذا
وفي المقاري السبع حيث وقفوا ... فربما في ذي اختلاف خالفوا[3]

فظاهر هذه الأبيات يدل على أن ما عليه الأقدمون من قراء المغرب بعد عصر الهبطي هو الاختيار في الأخذ بين مذهب الوقف على رؤوس الآي ، وبمذهب تمام المعنى ، وذلك في حالة الإفراد بقراءة ورش ، وأما بحالة الجمع بالسبع أو بالعشر فيدل على أنهم كانوا يقفون حيث اضطروا للوقف ، إما لغرض تجديد النفس ، وإما لغرض ترتيب الأرداف . هذا ولا يخفى أن ما عليه القراء بعد الهبطي امتداد لما كانوا عليه قبل الهبطي "[4] ، ثم قال :"وعليه فيمكن أن نستنتج من كل ما تقدم أن المغاربة كانوا قبل الهبطي على عدة طرق في الأداء ، وهذه الطرق منها ما هو منسجم مع قواعد التجويد ، كالوقف على الآي أو على محل التمام بشرطه ، ومنها ما هو مجرد عادة غالبة ناشئة عن غرض تعليمي موقت في الأصل ،

---

[1] ـ تقييد وقف القرآن الكريم : ٩٠ .
[2] ـ يعني في كتابه الأقنوم في مبادئ العلوم .
[3] ـ الأقنوم في مبادئ العلوم للشيخ عبد الرحمن الفاسي (مخطوط) .
[4] ـ تقييد وقف القرآن الكريم : ٩٢ ـ ٩٣ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كالطريقة الوصلية المعروفة في الجزائر وتونس إلى الآن[1] ، وكالطريقة التي يؤدي بها الصبيان في الكتاتيب القرآنية بالمغرب غالب سور المفصل تدريبا لهم على النطق بهمزة الوصل قطعا ووصلا ..."[2].

وقد رجع الباحث إلى القول بوجود ما يدل على أنواع أخرى من الوقفيات قبل عمل الهبطي ، فقال في تعليق ألحقه في الحاشية : "بعد ما كتبت هذه الفصول بنحو سنتين عثرت في مكتبة الزاوية الناصرية على وقفية منسوبة إلى الشيخ محمد الصغير شيخ ابن غازي ، وقد قابلت بينها وبين تقييد الشيخ الهبطي ، فلاحظت أنها تختلف مع تقييد الهبطي في خمسمائة موضع ، ووجود هذه الوقفية يفيدنا أن المغاربة كانوا من قبل الهبطي يعرفون أنواعا أخرى من تقييد القرآن الكريم[3] .

ومهما يكن من تسجيل هذا السبق لغير الهبطي ، وكونه مخالفا كل هذه المخالفة التي بلغت خمسمائة موضع لما تضمنه تقييد الهبطي ، فإن الذي يعنينا هنا هو معرفة الباعث أو مجموعة البواعث والدواعي التي اقتضت اقتضاء ما كان عنه من مناص أن يظهر هذا التقييد استجابة لهذه الدواعي والبواعث الملحة ، وفي طليعتها وضع نظام قار للوقف يساعد على ضبط التلاوة أثناء الأداء بالإفراد أو في قراءة " الأسوار " أو في قراءة الحزب الراتب ، أو حال الأخذ بجمع الروايات أوفي التلاوة فردية أو جماعية بوجه عام .

ويعنينا قبل هذا ومعه أن نتصور الاستجابة لهذه الحاجة الملحة قد ظهرت في أكثر من صورة ، وذلك في نظرنا يعني أن أمر التقييد المطلوب كان قد بات مشروعا في طريقه إلى الإنجاز على أيدي مشيخة الإقراء بفاس في النصف الأخير من المائة الهجرية التاسعة .

ومفتاح الوقوف على حقيقة هذا المشروع هو في إدراك الترابط القائم بين حلقات ومراحل تنفيذه وبروزه في صورته النهائية على شكل تقييد على يد الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي السماتي نزيل فاس المتوفى بها سنة ٩٣٠ هـ[4].

---

[1] ـ علق الدكتور وكاك هنا على هذا في الحاشية بقوله : "فبوادي الجزائر تقرأ بهذا الشكل تقليدا ؛ لأنها لا تستعمل غيره ، وجامع الزيتونة يقرأ به كطريقة تدريبية من طرق الأداء ، لأنه يستعمل غيره هناك" .

[2] ـ تقييد وقف القرآن الكريم : ٩٤ .

[3] ـ نفسه : ٩٥ رقم الهامش ١٣٥.

[4] ـ ترجمة الهبطي في درة الحجال لابن القاضي : ٢ / ١٥٢ وجذوة الاقتباس له : ١ / ٣٢١ ولقط الفرائد له : ٢٩٠ ونيل الابتهاج للتنبكتي بهامش الديباج : ٣٣٥ وكفاية المحتاج له : ٢٢١ ونشر المثاني للقادري : ١ / ٣٥ والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي : ٢ / ٢٢٦ ـ ٢٢٧ وسلوة الأنفاس : ٢ : ٦٧ ـ ٦٨ وقراءة الإمام نافع عند المغاربة لكاتبه : ٤ / ١٨٥ ـ ٢٢٦ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مشيخة الإمام الهبطي وتلامذته :

نستنتج مما تقدم أن هذا التقييد لم يأت من فراغ ، وإنما تقدمته محاولة لم يكتب لها الانتشار كما كتب له ، وهي كما قدمنا : لأبي عبد الله محمد بن الحسين بن حمامة النيجي الأَوْرَبِي الشهير بالصغير نزيل فاس المتوفى بها سنة ٨٨٧ هـ[١] ، وكان هذا الإمام كما وصفه تلميذه أبو عبد الله بن غازي إذ يقول : "ما رأت عيناي قط مثله خلقا وخلقا وإنصافا وحرصا على العلم ...وتبحرا في القراءات وأحكامها ، وبلغ في علم النحو مبلغا لم يصل إليه أحد من أترابه ولا من أشياخه ، مع المشاركة في سائر العلوم الشرعية وحسن الإدراك وقوة الفهم ، وحب الخير لجميع المسلمين"[٢].

قال الشيخ أبو العباس أحمد المنجور في فهرسته :"ويذكر عن الأستاذ الصغير هذا أنه ختم عليه ثلاثمائة مسبع ، أي : قرأوا عليه بالقراءات السبع ، قال : وهذه بركة عظيمة قلَّ أن توجد لغيره"[٣].

وقد تصدر الأستاذ الصغير بجامع الأندلس من فاس ، وبه قرأ عليه الشيخ ابن غازي ، كما قرأ عليه الشيخ الهبطي وأتم على ابن غازي ، وقد ساق أبو العباس المنجور روايتهما عن الصغير مساقا واحدا فقال : "وأخذ شيخ الجماعة أبو عبد الله بن غازي عن الإمام الحافظ أبي عبد الله القوري اللخمي ، والأستاذ الكبير أبي عبد الله الصغير الأوربي النيجي وغيرهما ممن احتوت عليه فهرسته ، لكن هذان عمدته . قال : وأخذ الدقون [٤] والهبطي عن الأستاذ الصغير"[٥] .

وقد علا سند الشيخ الهبطي بعد موت الشيخ ابن غازي سنة ٩١٩ هـ لأنه شاركه في القراءة والرواية عن شيخهما الصغير ، وعاش بعده أزيد من عشر سنين ، ولذلك نجد كثيرا من أكابر تلاميذ ابن غازي في القراءات ، قد عادوا فقرأوا على الشيخ الهبطي ، لعلو سنده بعد موت ابن غازي ، لأنه يروي عن الصغير مباشرة ، وهم يروون عنه بواسطة تلميذه ابن غازي .

وقد سمي أبو العباس المنجور ممن قرأ على الهبطي جماعة ، وهم حسب ذكرهم في فهرسته : عبد الواحد الونشريسي ، وعبد الرحمن بن إبراهيم

---

[١] ـ ترجمة في فهرسة ابن غازي ٣٦ ـ ٦٩ .
[٢] ـ نفسه : ٣٦ .
[٣] ـ فهرسة أحمد المنجور : ١٧ .
[٤] ـ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي الشهير بالدقون ، خطيب جامع القرويين ، توفي سنة ٩٢١ هـ . انظر ترجمته في نيل الابتهاج : ٨٨ ودرة الحجال : ١ / ٩٢ ـ ٩٣ وتوشيح الديباج : ٦٤ .
[٥] ـ فهرس أحمد المنجور : ١٧ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الدكالي ، وأخوه أبو القاسم محمد بن إبراهيم الدكالي ، ومحمد بن عدة الأندلسي الشهير بالعدّي ، وعلي بن عيسى الراشدي[1] .

ومن الرجوع إلى تراجم هؤلاء الأئمة تستشف إمامة الهبطي في علوم القراءة ؛ لأن هؤلاء الرواة عنه من مدرسة الشيخ ابن غازي إن كانوا قد قرأوا عليه مع وجود ابن غازي معهم بفاس فهذا أمر له دلالته على منزلة الشيخ الهبطي ، وإن كانوا قد قرأوا عليه بعد موت ابن غازي فهو أبلغ في الدلالة ، إذ لا يخلف ابن غازي في الإقراء إلا مشهود له بالحذق وشفوف المنزلة .

ونكتفي في إبراز مكانة الشيخ الهبطي هنا بما ذكره تلميذ تلامذته في سياق ذكره لأحد شيوخه في فهرسته حيث قال : " ومنهم الشيخ الفقيه الأستاذ النحوي المفسر أبو محمد وأبو القاسم بن إبراهيم الدكالي ..كان من الأساتيذ المعتبرين ، عارفا بعلوم القرآن أداء ورسما وتفسيرا ، ممتعا من الكتب العلمية : التفسير والحديث والعربية وغير ذلك ، مما جمعه صهره والد زوجته الأستاذ الكبير ، ذو النحو الغزير ، الفقيه الفرضي أبو عبد الله الهبطي ، وهي إعانة كبيرة على الطلب .... أخذ عن والده الفقيه أبي عبد الله ، وعن شيخ الجماعة أبي عبد الله بن غازي ـ وهو عمدته ـ لازمه في دروسه في التفسير وغيره مدة ، وجمع عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع ، وأجازه فيه وفي غيره ، وأخذ أيضا عن صهره أبي عبد الله الهبطي وعن غيرهم ممن عاصرهم"[2] .

ذلك هو الإمام الهبطي في تقدير من عرفه كأبي العباس المنجور فوصفه بـ "الأستاذ الكبير ، ذي النحو الغزير" ، وليس هو الذي قال عنه بعض من كتب عن وقفه فنعته بالجهل بالنحو ، وأنه لم يقرأ الآجرومية [3].

---

[1] ـ نفسه : ١٢ (مرتين) ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٧ ـ ٦٥ ـ ٦٧ ـ ٦٨ .

[2] ـ فهرس أحمد المنجور : ٦٥ .

[3] ـ الإشارة إلى كتاب "منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي" للأستاذ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري ١١ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

تقييد وقف الهبطي وما يتعلق بسنده :

لاحظ عدد من الباحثين عدم وجود سند لهذا التقييد يتصل بالإمام الهبطي ، وأن معظم النسخ الخطية منه تحمل عبارة : "مما قيده عنه بعض تلامذته"[1].

ولا شك في أن في هذا تعبيرا عن الجهل بالراوي ، مما يؤدي إلى عدم الاطمئنان إلى المروي نفسه للجهل بصفات القبول المعتبرة في صحة الرواية كما هو مقرر في كتب مصطلح الحديث وعلم الرواية بوجه عام .

وزاد بعضهم على هذا فاستبعد أن يكون هذا الوقف مقيدا عن الشيخ ابن غازي ، وذلك لما هو ملاحظ على كثير من المواضع من الضعف في المعنى والإعراب ، وهو أمر يجل عن الوقوع في مثله مثل ابن غازي في جلالة قدره ورسوخ قدمه في العلم ، ولذلك تمسك بأحد الاحتمالين في عبارة القادري المؤرخ في كتاب نشر المثاني حين قال في ترجمة الهبطي : "وهو ممن أخذ عن ابن غازي ، وعنه قيد الوقف"[2] .

فعبارة "وعنه قيد الوقف" تحتمل في أن يكون فيها الضمير عائدا على ما قبله ، أي : على الشيخ ابن غازي ، ويكون فعل " قيّد " بفتح القاف والياء ، وتحتمل أن يكون عائدا على صاحب الترجمة فيكون " قيد " بضم القاف وكسر الياء ، ويكون المقيّد عنه بفتح الياء هو الشيخ الهبطي والمقيّد للوقف غير مذكور ، والمعنى مختلف ولا شك بحسب القراءتين ، ولكننا نرجح دخول الشيخ ابن غازي في مراحل هذا المشروع ، ودخول الشيخ أبي عبد الله الصغير شيخهما معا ، وذلك لما تقدم من وجود تقييد عنه لعله يمثل أساس الفكرة التي قام عليها أصل هذا التقييد .

وعلى هذه القراءة التي رجحناها سار الأستاذ الحجوي الثعالبي في قوله في "الفكر السامي" في ترجمة الهبطي : "الإمام الفقيه النحوي الفرضي الأستاذ المقرئ ، وهو الذي يقرأ أهل المغرب بالوقف الذي جعله في القرآن الكريم منذ زمنه إلى الآن مطبقين عليه ، وهو أخذه عن الإمام ابن غازي عن شيخه ، وإن كان في بعضه نظر ، ولكن تلقاه قراء المغرب بالقبول"[3].

---

[1] ـ انظر بحث الدكتور الحسن وكاك في التعريف بتقييد وقف الهبطي في أول بحثه : ٢٦ ـ ٢٧ .
[2] ـ نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري : ١ / ٣٥ .
[3] ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد الحجوي الثعالبي : ٢ / ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الحلقة المفقودة في سند وقف الهبطي :

ذهب الأستاذ الحسن وكاك في تعليق ألحقه ببحثه بالهامش إلى أن مقيد الوقف هو محمد المرابط البعقيلي السوسي ، ونشر في كتابه صورة عن أول لوحة منه وآخر لوحة[1] ، ونص ما ذكره : "عثرت بعد ما كتبت هذه السطور على نسخة من تقييد الهبطي بخزانة تارودانت يصرح فيها صاحبها بأنه قيد هذا الوقف بإذن من شيخه المقرئ السيد الترغي المتوفى سنة ألف من الهجرة" [2] ، قال : "وهذه النسخة استفدت منها أمرين : الأول أن الشكل الأول لتقييد الهبطي هو التقييد بالكلمات ؛ لأن قول كاتبه :"بإذن من الأستاذ الترغي" يحتمل أن يكون هذا إذنا في تقييده لأول مرة ، ويمكن أن يكون لمجرد التبرك بموافقة شيخه ، الثاني أن المقيد الأول لوقف الهبطي هو محمد المرابط البعقيلي السوسي بإذن من شيخه الترغي"[3].

قلت : يفهم مما استنتجه السيد الباحث : أن الوقف لم يكن مقيدا في تقييد مستقل إلى أن قيده المرابط عن الشيخ الترغي بإذن منه ،والأمر ليس كذلك ،وكيف والباحث نفسه قد ذكر نقلا عن السلوة وغيرها أن الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (ت ٨٩٥ هـ) ورد على فاس واجتمع بابن أبي جمعة الهبطي ، وناظره في هذا الوقف على جهة الاعتراض والانتقاد "[4].

فورود الشيخ السنوسي على فاس قبل وفاته (سنة ٨٩٥ هـ) يدل على وجود التقييد في أيدي الناس قبل نهاية القرن التاسع ، فكيف يكون الذي قيده هو المرابط المذكور عن شيخه المتوفى في أول القرن الحادي عشر ؟ هذا توجيه غير مستساغ يفيد تأخر كتابة التقييد إلى هذا العهد .

والظاهر أن التقييد الأول ـ وهو للشيخ الهبطي قطعا مما قيده عنه بعض تلامذته كما تقدم ـ إنما جرت عليه بعض التعديلات في أثناء الاستعمال قبل أن يستقر على صيغته النهائية التي لم يعد فيها اليوم اختلاف بين الآخذين به في القراءة والأداء وفي التلاوة العامة .

ويشهد لذلك نفس التقييد الذي أشار السيد الباحث إلى وجود هذه النسخة منه بخزانة تارودانت ، وأظنه لو رجع إليها لأدرك حقيقة ما قلته ، إذ يوجد فيها مخالفات كثيرة لما استقرت عليه الحال اليوم عندنا في

---

[1] ـ ذكر أنه مخطوط موجود بخزانة تارودانت رقم ٤٢ . انظر تقييد وقف القرآن الكريم : ٣٤ ـ ٣٥ .
[2] ـ كذا ذكر في التعليق ، والصواب في وفاته سنة تسع وألف ، وقيل سنة أربع عشرة وألف ، وقيل بعدها .
[3] ـ تقييد وقف القرآن الكريم : ٣٨ الهامش رقم ٦ .
[4] ـ انظر سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس لمحمد بن جعفر الكتاني : ٢ / ٦٧ ـ ٦٨ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الاستعمال . ولا يتسع المجال لاستعراض الأمثلة ، ولكني للفائدة أشير إلى أن القارئ المتمعن لهذه النسخة وما كتب في أول لوحة منها وآخر لوحة يمكنه أن يطمئن إلى وقوفه بيقين على الحلقة المفقودة التي ظل من كتبوا عن وقف الهبطي يستشعرون فقدها ، ويرون الغموض بدونها يكتنف التقييد من كل جهة ، فلا يدرى من قيده ، ولا كيف قيده ، ولا عمن قيده ؟ ؟ ؟

مخطوطة الخزانة الوقفية بآسفي وحل إشكال الحلقة المفقودة :

كنت في أطروحتي[1] قد تحدثت عن هذا الاكتشاف بنوع من البسط ، و أجدني هنا مضطرا لإفادة القارئ ببعض ما تضمنته ، وخاصة حول الحلقة المفقودة التي بالوقوف عليها لا يبقى مجال لدعوى من يدعي الجهالة على هذا التقييد ، وينادي بحجب الثقة عنه ـ على الأقل ـ من جهة صحة نسبته إلى الإمام الهبطي جملة وتفصيلا ، مع أن النسبة الإجمالية بالغة فيه مبلغ الأخبار المتواترة التي لا يحتاج معها إلى أسانيد الآحاد كما هو مقرر في موضعه عند العلماء .

وقد قلت في أطروحتي بعد نقل ما ذكره الدكتور وكاك منبها على ما عثرت عليه بعده : "وقد عثرت أيضا على مخطوطة للمرابط البعقيلي المذكور لا أدري مدى مطابقتها لنسخة تارودانت ، وقفت فيها على حقائق جديدة تنسف الكثير مما قيل حول نسبة "تقييد الوقف" الحالي جملة وتفصيلا إلى المقيد عنه ، وتضع علامة استفهام كبيرة على الوقوف المنتقدة على الهبطي ، وتجعل نسبتها إليه في غاية المجازفة ، بعد ثبوت تصرف المقيّدين والمقيد عنهم في الوصل والوقف بحسب الاستحسان كما سوف نرى" .

"وهذه النسخة في مجموع عتيق بخزانة أوقاف آسفي القديمة ، وتقع في نحو ستين ورقة من القطع الكبير ، تتخللها خروم وخروق في الصلب والهامش ، وقد جاء في مقدمتها بعد الافتتاحية المعهودة :"وبعد ، فهذا تقييد وقف القرآن العظيم من أول فاتحة الكتاب إلى آخره ، وقيده بعض أصحابنا ، وهو العبد الفقير إلى الله تعالى : محمد بن أحمد بن محمد المرابط البعقيلي[2] ، عن شيخنا الأستاذ المحقق النحوي خديم كتاب الله

---

[1] ـ أعني : "قراءة الإمام نافع عند المغاربة" التي جرت مناقشتها بدار الحديث الحسنية سنة ١٩٩٥ م ونشرتها وزارة الأوقاف المغربية .

[2] ـ المرابط المذكور من أشهر علماء سوس ، وهو مؤلف كتاب مناقب البعقيلي المطبوع بتحقيق العلامة محمد المختار السوسي في سلسلة مصادر المعسول رقم ١ ، وقد اطلعت على هذا الكتاب فوجدته يذكر فيه ما يدل على أنه المراد ، حيث قال : "وذكر لي شيخنا الأستاذ المحقق المتفنن سيدي محمد بن يوسف الترغي مشافهة أنه كان يتمنى أن يرى وليا من أولياء الله في قيد الحياة بسمته ونعته ... ثم ذكر قصة زيارتهما لسيدي عبد الرحمن بن علي في بلاد جزولة وما قابلهما به من حسن الضيافة". انظر مناقب البعقيلي ٢٩ ـ ٣٠ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

العزيز أبي عبد الله سيدي محمد بن يوسف الترغي ـ وفقه الله وسدده ـ بعدما استأذنه في ذلك فأذن له ، رضي الله عنه ، وجزاه عن العلم خير ما جزى بمنه وفضله ، إنه سميع قريب ، وبالإجابة جدير" ، ثم شرع مباشرة فكتب : "سورة الفاتحة : الدين ـ نستعين ـ الضالين ..." وهكذا تابع الكلمات التي عليها الوقف إلى قوله في الخاتمة : "ولا وقف في الفلق إلا في : "إذا حسد" ، ولا في الناس إلا في : "والناس" ، ثم قال : "كمل التقييد ـ بحمد الله تعالى وحسن عونه . قيد هذا الوقف صاحبنا في الله حقا سيدي محمد بن أحمد بن محمد المرابطي [1] البعقيلي عن شيخنا الأستاذ النحوي المقرئ المحقق أبي عبد الله سيدي محمد بن يوسف المسمى بـ " الترغي " نفعنا الله ببركاته وبركات أمثاله" ، ثم قال : "على يد كاتبه محمد بن أحمد بن داود ـ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه بلا محنة ، وكان الفراغ منه قبل الزوال من يوم السبت الوافي أحد عشر يوما من ربيع الثاني عام ثلاث[2] وستين وألف ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما"[3] .

فها نحن نرى من خلال هذا التقديم وخاتمة التقييد ، أن كاتبه هو : محمد بن أحمد بن داود كتبه بتاريخ ١٠٦٣ هـ ، وأن مقيده عن الشيخ الترغي بعد إذنه له ، هو: محمد بن أحمد بن محمد المرابط البعقيلي السوسي ، وأن الشيخ المقيد عنه هو الأستاذ محمد الترغي المتوفى سنة ١٠٠٩هـ ، وأن الكاتب حافظ في التقديم على ما كان عنده في أصل المرابط ، لأن المرابط قيده عن الشيخ في حياته ، ولذلك نجده يقول في الدعاء له : "وفقه الله وسدده " وهذا دعاء للأحياء .

كما نستفيد من السياق أن الكاتب والمقيد كلاهما من تلاميذ الشيخ الترغي ، وليس في مقدمته ولا خاتمته ذكر للهبطي ، بل ولا فيه أنه للشيخ الترغي ، وإنما قيده عنه المرابط بعد استئذانه ، وهذا يفيد أنه مكتوب قبل الاستئذان ، إما في نسخة الترغي ، وإما في أثناء تصحيحه للألواح ، وهذا الأخير هو الراجح ، ولا ينافي هذا أن يكون ما بيد الشيخ الترغي هو أيضا تقييد سابق له ، إما انتساخا من التقييد الأصلي للهبطي أو لغيره ، أو مأخوذا أيضا من اللوح ، ولابد مع كل منهما عادة من الإذن له حتى يكون التقييد المذكور رواية ، لا مجرد وجادة أو مناولة من الشيخ .

---

[1] ـ كذا ، بياء النسب .
[2] ـ كذا ، والمناسب ثلاثة .
[3] ـ خزانة أوقاف آسفي ـ مقر المندوبية اليوم .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وإلى هنا فالحلقة المفقودة قد كادت تستبين معالمها ، وإنما تلوح هذه المعالم بالعودة إلى ما في ترجمة الشيخ الترغي في مصادرها ، لمعرفة صلات الوصل بينه وبين الشيخ الهبطي ، وبذلك نكون قد وضعنا أصابع اليد على الوسائط التي بينه وبينه ، فترتفع بذلك الجهالة حينئذ عن الطرق الموصلة للتقييد إلى منطلقه الأصلي ، وإن كان لم يذكر ذلك صريحا في هذا التقييد ، وإنما جاءت روايته مرسلة حذفت فيها الواسطة بين الشيخ الهبطي وبين الشيخ الترغي .

ترجمة الترغي :

أما الترغي هذا فقد ترجم له تلميذه أبو العباس أحمد بن القاضي في كتابه درة الحجال فقال :"هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن موسى بن علي الترغي المساري ، ولد فيما حدثني به ـ أبقاه الله تعالى ـ سنة ٩٤٣ هـ " ، ثم وصفه بالفقيه الأستاذ النحوي وقال : "أخذ عن أبي القاسم بن إبراهيم المشترائي ـ يعني الدكالي تلميذ ابن غازي وتلميذ الهبطي وصهره : زوج ابنته كما تقدم ـ وأجاز له في القراءات السبع وفي كل ما يجوز له" . قال ابن القاضي : "وأجاز لي جميع رواياته وما رويته عنه وأخذته ، فهو في جزء مسموعاتي عنه الذي كتب فيه خطه لنا بذلك ـ أبقاه الله تعالى بمنه ـ وكان ذلك بباب منزله بدرب عبيد الله قرب مسجد الشرفاء بمراكش المحروسة[1] في يوم السبت غرة ذي القعدة سنة ٩٩٨ هـ ، وامتدت القراءة عليه إلى السنة التي بعدها"[2].

وقال اليفرني : "ولد بفاس ، ونشأ بمراكش ، وكان ـ رحمه الله ـ أستاذا مجودا ، عارفا بالمقارئ السبعة محققا فيها ، مع المشاركة في غيرها من الفنون ، والحفظ التام ، واستحضار المسائل ، وهو مؤدب أولاد الملوك"[3].

وقال أبو زيد التمنارتي : شدت إليه الرحال لأخذ القراءة عنه ، وتزاحمت ببابه الركبان ، وعنه انتشرت القراءة بالمغرب بسائر طرقها"[4] .

ومن ترجمة الشيخ الترغي نتبين أنه ولد سنة ٩٤٣ هـ ، أي : بعد موت الإمام الهبطي بثلاث عشرة سنة ، فهو إذن لم يدرك الهبطي ، ولم

---

[1] ـ يعني بمسجد الشرفاء : مسجد المواسين المشهور حتى الآن بهذه الحومة بمراكش ، وكان لي شرف الدراسة الابتدائية فيه ابتداء من ٢٠ يناير ١٩٥٧ م ، وكان يومئذ مقرا للتعليم الابتدائي المتفرع عن كلية ابن يوسف للتعليم الأصلي .

[2] ـ درة الحجال : ٢ / ١٦٤ ترجمة ٦٣٨ .

[3] ـ صفوة من انتشر : ١٣٠ ـ ١٣١ وانظر في ترجمته نشر المثاني للقادري : ١ / ٧٨ وطبقات الحضيكي : ٢ / ٤٤ ـ ٥٤ .

[4] ـ صفوة من انتشر لليفرني : ١٣٠ ـ ١٣١ ـ و أصله في الفوائد الجمة للتمنارتي : ١١٢ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

يأخذ عنه "تقييد الوقف" المنسوب إليه ، ولكن هذا لا يمنع أن يكون قد قيده عن غيره من شيوخه الكبار من تلاميذ الشيخ الهبطي .

فقد ذكر تلميذه ابن القاضي في ترجمته السالفة الذكر أنه : قرأ على أبي القاسم بن إبراهيم المشترائي وهو الدكالي : صهر الهبطي زوج ابنته الذي آلت إليه خزانته الحافلة كما تقدم ، فالراجح أنه هو الحلقة المفقودة فيما بينه وبين الهبطي ، وقد تقدم قول ابن القاضي فيه : إنه أجازه في كل ما يجوز له .

ومن شيوخ الترغي أيضا من تلاميذ الهبطي وابن غازي معا : أبو عبد الله محمد بن علي بن عدة المعروف بالعدّي[1] .

ومنهم أبو الحسن علي بن عيسى الراشدي التلمساني نزيل فاس[2] .

فهؤلاء الجلة هم الواسطة بينه وبين الشيخ الهبطي ، وكلهم مقرئ جليل أستاذ في علوم القراءة والأداء ، وقد نوّه المنجور بأخذهم عن ابن غازي والهبطي فيما قدمنا نقلا عن فهرسته ، فلا معدل عنهم في أسانيد ما قرأه و رواه عن مشايخه المعتبرين .

ومعنى هذا أن التقييد المنسوب إلى الترغي في نسختي تارودانت و آسفي إنما هو الصورة التي انتهت إلى الشيخ الترغي فضمنها هذا التقييد كما قيده عنه تلميذه المرابط البعقيلي من نسخته أو من خلال لوحه أثناء القراءة عليه وهو استنتاج ليس هنالك ما يدفعه في نظرنا .

وتلك هي الحصيلة الأولى التي وصلنا إليها من هذه الذخيرة التي وفق الله سبحانه للوقوف عليها في الخزانتين المذكورتين .

أما القيام بدراسة التقييد المذكور مع المقارنة بينه وبين ما اقترحه الشيخ الترغي من تعديلات على هوامش التقييد ـ كما رأيتها وتتبعتها كلها في مخطوطة آسفي ـ فهو الذي يجسد المرحلة الوسطى من مراحل المشروع قبل استقراره في صورته الحالية التي بين أيدينا ، ولا يتسع لنا المجال لاستيفائها هنا ، وقد بسطنا طرفا منها في دراسة لنا سابقة[3].

وحسبنا هنا أن نكون قد رفعنا الجهالة عن أصل هذا المشروع ، وسلطنا الأضواء الكافية على أهم مراحله حتى ترعرع واستوى على سوقه كيانا سويا كما هو بين أيدينا اليوم .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن وصول هذا الوقف إلى مناطق شرق المغرب وبلاد سوس قد أثار ردود أفعال مختلفة قبولا وردا ، قبل أن تطمئن به الدار ويصبح ميسما من مياسم التلاوة المغربية ،و ملتحما بالحياة اليومية

---

[1] ـ درة الحجال : ٢ / ٢١٣ ترجمة ٦١٩ ـ وانظر فهرس أحمد المنجور : ٦٥ ـ ٦٦ .

[2] ـ جذوة الاقتباس لابن القاضي : ٢ / ٤٩١ ترجمة ٥٥٩ وانظر فهرس أحمد المنجور : ٦٧ ـ ٦٨ .

[3] ـ انظر الفصل الذي عقدناه للإمام الهبطي في أطروحتنا : قراءة الإمام عند المغاربة : ٤ / ١٨٥ ـ ٢٢٧ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

في مدارس الإقراء سواء في (الأسوار) و (الحزب الراتب) ، أم في المصاحف المخطوطة والمطبوعة ، وذلك بعد أن هدأت زوابع الاعتراض عليه من لدن " المدرسة الناصرية " و " المدرسة اللمطية " في شرق المغرب ، و " المدرسة الصوابية " في جنوبه ، وأخذ مكانه في تصحيح الألواح ، ودخل في منظومات وأنصاص لا حصر لها ، كما دخل في وقفيات متخصصة عديدة أهمها التي جمعها الشيخ المقرئ أبو عبد الله محمد المعروف بأعجلي البعقيلي السوسي ، وغير ذلك من الأعمال التعليمية ، حتى بلغ أمر العناية بوقف الهبطي إلى حد نظمه في قصيدة كما فعل الشيخ محمد بن أحمد المسومي من علماء شنقيط[1] ، وإلى شرح مقاصده أيضا عند الشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي (ت ١٢١٤هـ)[2] ، وإلى الدفاع عنه باستماتة كما نجده عند أحد علماء سوس الذي ألف كتاب "هز السيف على من أنكر الوقف" [3] ، كما لا يفوتنا أن نذكر جدولة الشيخ أعجلي له حسب كل ربع من أحزاب القرآن الستين ، مع ذكر عدد وقفات كل ربع ، و ذكر العدد الإجمالي للوقف في القرآن كله ، وهو أربع وأربعون وتسعمائة وتسعة آلاف وقفة (٩٩٤٤)[4] .

خاتمة :

وها هي اليوم خمسمائة عام بالتمام تمضي على موت الشيخ الهبطي ـ رحمه الله ـ وأيضا على استعمال ما قيد عنه من الوقف في جميع جهات المغرب والدول المجاورة له كالجزائر وموريتانيا والسنغال ومالي والدول المصاقبة في إفريقيا ، إما أخذا مباشرا عن أهل المغرب الكبير، أو تأثرا بالجوار ، أو باستعمال المصاحف المغربية التي التحم بها وقف الإمام الهبطي منذ عصور وأجيال ، فأمسى منذ قرابة خمسة قرون ميسما من مياسم التلاوة المغربية التي يتميز بها المغرب الأقصى ، منذ عدة قرون عن غيره من البلدان والأقطار ، كما أمسى تراثا وطنيا ورمزا معدودا من الرموز الوطنية التي أصبحت داخلة في رسم الطراز الخاص لشخصيتنا المتميزة عبر القرون ،كما أننا به قرأنا على مشايخنا ، وقرأ به مشايخنا على من قبلهم باتصال القراءة جيلا عن جيل وخلفا عن سلف ، الأمر الذي لم نعد معه في حاجة إلى البحث له عن سند يتصل من جهة الرواية بواضعه الأول ، لأن نقل التواتر العام في جميع أنحاء البلاد لهذا الوقف

---

[1] ـ بلاد شنقيط : المنارة والرباط للأستاذ الخليل النحوي : ٦١٤ .
[2] ـ مخطوط بالخزانة الملكية برقم ١٩٥٣ .
[3] ـ تقييد وقف القرآن الكريم للدكتور الحسن وكاك : ١٥٦ .
[4] ـ انظر الجدول والإحصائية المذكورة في كتاب تقييد وقف القرآن الكريم للدكتور الحسن وكاك : ١١٩ ـ ١٢٢ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قد أغنى عن ذلك كله ، فلم يعد فيه اختلاف الآن ، كما أنه لم يعد في الاعتبار هنالك فرق بين اتصال العمل برواية ورش عن نافع ، وبين اتصال العمل في القراءة والأداء بوقف الهبطي الذي جرى عليه العمل وانتظم في جميع أنحاء البلاد ، ولا أدلّ على تلقي القرّاء له بالقبول في جميع الأقطار المغربية الآخذة بقراءة نافع وغيرها ، ممّا أشار إليه الشيخ عبد السلام المدغري ـ من تلاميذ الشيخ مسعود جموع السجلماسي (ت ١١١٩هـ) وذلك في رجزه في الطرق العشر النافعية الذي سماه : " تكميل المنافع " إذ يقول فيه :

واسلك طريق الهبطي في الأوقاف ... فإنه لصنعة الأرداف
سهل معين إذ به جرى العمل ... في غربنا وإذ به الأدا حصل

ولا أدلّ على ارتضائه مما ذكره الشيخ المارغني التونسي في الرسالة التي ألفها حول وقف الهبطي حيث يقول : "واعلم أن أوقاف الهبطي كلها مرضية موافقة جارية على قواعد فنّ القراءة ووقوفه وما تقتضيه العربية وأصولها"[1] .

وهذا إنما هو غيض من فيض مما قيل وكتب عن هذا الوقف والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

شيخي واستاذي د/ عبد الهادي حميتو

[1] ـ الرسالة منشورة مع كتاب " النجوم الطوالع في شرح الدرر اللوامع في مقرإ الإمام نافع " لابن بري ، وانظر كتاب تاريخ القراءات في المشرق والمغرب للدكتور محمد المختار ولد باه : ٥٦١ .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية